

ابحاث ودراسات ا

حول المولد النبوي
حقيقته وغايته وتاريخه ومشروعيته

أسامة شحادة

www.osamashade.com

تمهيد:

يتجدد الجدل سنويا حول الاحتفال بالمولد النبوي بين الجواز والمنع، لأن المولد النبوي والاحتفال به يُعترض عليه بثلاث ملاحظات أساسية، وهي:

1 - لم يثبت عند العلماء موعد ثابت صحيح لمولده صلى الله عليه وسلم، لأن ثقافة عصر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن تحفل بتدوين الولادات لأنها أمة أمية، وبسبب هذا فإن علماء السيرة النبوية يذكرون أن المتفق عليه هو سنة ولادته، وهي عام الفيل، ثم يختلفون في تحديد أي شهر على أقوال، هي: رمضان، صفر، ربيع أول، وقيل غير ذلك، ثم يختلفون على تحديد أي يوم، فقيل بخصوص شهر ربيع أول أنه ولد في يوم: 2، 8، 10، 12.

أما العلماء المعاصرون الذين اعتمدوا الحسابات الفلكية فقد ذهب الأستاذ محمد الخضري والشيخ صفي الرحمن المباركفوري إلى أن يوم الإثنين من ربيع أول من عام الفيل الموافق لعام 571م كان يوم 9 ربيع الأول!!

2 - أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا سنة صحابته والخلفاء الراشدين ولا فعلته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتي عاشت بعده صلى الله عليه وسلم 48 سنة حيث توفيت في سنة 58هـ! ولم يحتفل بمولده التابعون ولا الأئمة الأربعة ولا الدولة الأموية ولا العباسية!

بل الذين أسسوا الاحتفال بالمولد النبوي هم الشيعة العبيديون في مصر لخداع وإلهاء أهل مصر عن حقيقتهم الشيعية الضالة، هذه الدولة الشيعية (ظهرت سنة 322هـ) التي جعل صلاح الدين الأيوبي القضاء عليها الخطوة الأولى لتحرير بيت المقدس والمسجد الأقصى من الاحتلال الصليبي.

3 - أن الاحتفال بالمولد النبوي تطور عبر الزمن ولم يعد له حدٌ حتى أصبحت ترتكب فيه الكثير من المنكرات والفواحش! وهذا أمر متكرر توثقه وسائل الاعلام المختلفة كما فعلت قناة (إقرأ) قبل سنوات، أو ما يتداول من مقاطع مصورة على شبكات التواصل الاجتماعي، لعل أبرزها هذا العام احتفالات المولد ببغداد حيث امتزجت فيها بدع ومنكرات المواكب الشيعية مع منكرات الحفلات الغنائية!! وبل وصدرت بخصوص انحرافات الموالد تنبيهات من الجهات الراعية له!

وكانت قناة "اقرأ" الفضائية قد بثت منذ سنوات تسجيلاً لبعض حفلات المولد وما فيها ترك كثير من الحاضرين أداء الصلاة! ومن اختلاط فاحش بين النساء والرجال وشرب للمخدرات والحشيش وأفعال مشينة، تتناقض كلياً مع دعوى أن هذه مناسبة دينية!

ولأن هذه الفواحش أصبحت هي الرأجة في حفلات المولد فقد اضطرت رئاسة الطرق الصوفية في مصر إلى إصدار لائحة تنظم الموالد بمناسبة المولد الزينبي لسنة 1426هـ/ 2005م، نشرت في مجلة المجلس (مجلة التصوف الإسلامي) العدد (320) 2005/9م، جاء فيها:

"الأمور المطلوب منعها وتلافيها:

1- عدم استخدام الآلات الموسيقية بمجالس الذكر. (أحد المساجد بعمان فعل ذلك قبل سنوات داخل المسجد).

2- عدم اختلاط النساء بالرجال وضرورة عمل سواتر داخل الخيم التي يوجد بها نساء.

3- عدم الإساءة لسمعة الصوفية، وإظهار السلوك الصوفي الصحيح في كل النواحي..

4- تهذيب مجالس الذكر وإقامتها على الصورة الصحيحة من حيث سلامة النطق وطهارة ونظافة القائمين بها.

5- نظافة المساجد وطهارتها وعدم الطهي بها وعدم تعطيل شعائر الصلاة."

ومما يؤكد أن هذه المنكرات قائمة وتمارس في الموالد حالياً وصف مجلة آخر ساعة في عددها الصادر بتاريخ 31 أيار (مايو) 2006 حال المولد فقالت: "المولد احتفالية صاخبة ما أن تدخلها حتى تتورط في الزحام، فأنت دافع أو مدفوع، مانح أو ممنوح، ستمتزع رغم أنك في الخليط العجيب، وستصبح متجانساً بصورة تدهشك وسط الدراويش والحرافيش والعارفين واللصوص والباحثين عن دور!!"

هذه هي مجمل أهم الاعتراضات على الاحتفال بالمولد النبوي، أنه غير ثابت الموعد، ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأفضل القرون والأئمة، واخترعه الشيعة العبيديون، وتطور مع الزمن ليصبح كرنفالا يتصادم مع السنة النبوية، فيما يلي مزيد بسط وتوضيح لـ:

- تاريخ فكرة الموالد والإحتفالات والغاية منها.

- حقيقة توافق واقع الموالد والاحتفالات مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

- كيف نوجه عواطف محبة النبي صلى الله عليه وسلم عند شباب وعموم المسلمين.

أصل فكرة الاحتفالات والموالد فكرة تاريخية قديمة قبل الإسلام:

ظاهرة الاحتفال بالمناسبات الدينية ظاهرة قديمة تعرفها الأمم الوثنية السابقة على المسيحية والإسلام، وقد تنبه لها علماء التاريخ فدونوا أخبارها وطقوسها والتوظيف السياسي لها، وتنبه لها كذلك علماء الاجتماع فبينوا أصول هذه المناسبات وأنها ترتبط بما سبقها في التاريخ القديم، كما ذكر ذلك عبد الغنى النبوي الشال في كتابه "عروسة المولد" بقوله: "ولا شك أن ظهور عروسة الحلوى قد أخذها الفاطميون عن عادات قديمة إما مصرية وقبطية وإما فارسية وصينية" ويرجح الشال المصدر المصري، وهذا لا يسلم له، فقد ظهرت هذه العروس مباشرة بعد احتلال الفاطميين مصر ولم يتح لهم وقت كافٍ لمعرفة حضارة المصريين القدماء، ولكنهم كانوا يعرفونها أصلاً في تراثهم الفارسي القديم، وهذه أيضاً قضية تحتاج مزيد بحث ودراسة¹.

تاريخ مولد عيسي ومحمد عليهما الصلاة والسلام لا يعرف أصلاً!

إذ لا يوجد سند علمي لتحديد موعد لعيد الميلاد أو المولد النبوي، وإقامة الاحتفالات تمت بعد عدة قرون من ميلادهما، حيث تقرر دائرة المعارف الكتابية (ج4 ص 258) أنه "لا يمكن أن نحدد بدقة اليوم والشهر اللذين ولد فيهما يسوع، فقد كانت هناك معارضة شديدة جداً- في الكنيسة الأولى- للعادة الوثنية في الاحتفال بأعياد الميلاد... وقد اختارت الكنيسة الشرقية يوم السادس من يناير للاحتفال بميلاد يسوع. وربما كان سبب اختيار الكنيسة الغربية ليوم 25 ديسمبر، هو أن الرومان كانوا يحتفلون في ذلك اليوم بعيد إله الشمس... وقد اختارت الكنيسة هذا اليوم لتحويل

¹ - فات الشال وغيره ممن لا يعتنون بعقائد الدول والجماعات أن أساس الدولة الفاطمية نفسها كان أساساً سياسي فهي دولة دخيلة على الإسلام أحدثت الفكر الإسماعيلي في الشام وعملت على بث الأعوان والدعاة للثورات في بلاد الإسلام فنجحت في اليمن وبعدها في المغرب وبعدها احتلت مصر وكونت الدولة العبيدية، وقد روجت لنفسها بالانتساب لآل البيت، لكن العلماء كشفوا زيف ذلك، وبينوا أصلها الدخيل وإن لم يتم الجزم في أصلهم بين رأيين هل آل القداح الذين أسسوا الدولة العبيدية الفاطمية هم من اليهود أم المجوس، كما ذكره الأستاذ أحمد عنان في كتابه "الحاكم بأمر الله".

العادات والممارسات الوثنية إلى يوم لعبادة الرب يسوع المسيح... ولكن سهر الرعاة المتبدين على حراستهم لقطعانهم على تلال اليهودية يتعارض مع احتمال ولادة يسوع في الشتاء"، ويقول المؤرخ المعروف ويل ديورانت في كتابه قصة الحضارة: «وفي عام 354 احتفلت بعض الكنائس الغربية ومنها كنيسة روما بذكرى مولد المسيح في اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول وكان قبل هذا يُحتفل فيه بعيد مثراس "مولد إله الشمس الذي لا يقهر" واتهمت الكنائس الشرقية أخواتها الغربية بالوثنية وعبادة الشمس» (ج 11 ص 212).

ولا يتفق المحققون من العلماء في تحديد موعد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم إلا على أنه ولد في عام الفيل وفي يوم الإثنين، وما سوى ذلك فمختلف فيه، وقد قام د. إسماعيل سامعي في كتابه "تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في العالم الإسلامي والجزائر" ص 99 بعمل جدول لتواريخ الاحتفال بالمولد النبوي بحسب المراجع التاريخية في مصر والشام والعراق بين سنوات 796هـ - 868هـ فظهر التباين في تحديد أي يوم هو من شهر ربيع الأول حيث احتفل فيه في الأيام التالية: (1، 2، 4، 5، 7، 8، 10، 11، 12، 13، 15، 16، 17، 25، 27، 28).

بداية المولد النبوي:

اتفق العلماء على أن المولد النبوي لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا زمن دولة الخلفاء الراشدين ولا في زمن الدولة الأموية لكنه وجد زمن العبيدية الفاطمية بمصر (358-567هـ).

قال الحافظ السخاوي في فتاويه: "عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة وإنما حدث بعد".

ويقول العلامة محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية في زمانه "مما أحدث وكثر السؤال عنه الموالد، فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله".

إذ نص المقرئ في كتابه الخطط (1/ 490): "وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي مواسم رأس السنة، ومواسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم" أ.هـ.

وقال المقرئزي في إتحاظ الحنفاء (48/2) في احداث سنة (394): "وفي ربيع الأول أأزم الناس بوقود القناديل بالليل في سائر الشوارع والأزقة بمصر".

وقال في موضع آخر (99/3) في سنة (517): "وآرى الرسم في عمل المولد الكريم النبوي في ربيع الأول على العادة". وانظر (105/3).

هذا أول ما تورده المصادر التاريخية عن إقامة المولد، وإن كان الحافظ السيوطي في رسالته "حسن المقصد في عمل المولد" خالف هذا فقال: "وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد". وذلك في أوائل القرن السابع للهجرة.

وقد يمكن الجمع بين القولين، بأن الذين نسبوا إحداث المولد للعبيدين الفاطميين قصدوا بداية الفكرة وهي الاجتماع وأكل الطعام وتعليق الزينات وإظهار الفرح والسرور، وهو ما ذكره المؤرخون عن موالد العبيدين الذين كانوا ينفقون مبالغ طائلة جداً في هذه المناسبات لإعداد الطعام والحلويات بلغت سنة 517هـ 467,140 ألف دينار كما أثبتته د. أيمن فؤاد سعيد في كتابه "الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد" ص 561.

وكان الفاطميون يصنعون في الموالد "عروسة المولد" وهي من السكر المذاب، فهذه بداية المولد مع الفاطميين أكل وزينات.

أما السيوطي وابن كثير فقصدوا بداية قراءة المولد وإنشاد المدائح، والله أعلم.

الغاية السياسية كانت هي الدافع الأساسي لظهور فكرة المولد النبوي زمن دولة العبيدين الشيعة وتقليد بعض حكام السنة لهم، ولا يزال يحصل لليوم:

أورد المقرئزي والقلقشندي في كتابيهما قيام العبيدين الفاطميين على تأسيس ستة موالد (النبوي، علي، فاطمة، الحسن، الحسين، الخليفة الحاكم بأمر الله)، وهو أمر مخترع لم تكن تعرفه مصر السنية ولا غيرها من البلاد قبل استيلاء العبيدين الشيعة على مصر سنة 358هـ.

يقول الشيخ حسن السندوبي في كتابه "تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي: من عصر الإسلام الأول الى عصر فاروق الأول" أن المعز لدين الله لما استولى على مصر بحث عن وسيلة يستميل فيها الناس لمذهبه وطريقته الشيعة "رأى المعز لدين الله أن أقرب الأسباب للوصول إلى أغراضه من

هذا الميل العام الالتجاء إلى الأمور التي تمتّ بصلة إلى المظهر الديني، فهده تفكيره إلى أن يقرر إقامة مواسم حافلة وأعياد شاملة في مواعيد مقررة وكان من أولها وأجلّها وأفضلها الاحتفال بذكري المولد النبوي الشريف".

وبسبب الدافع السياسي خلف فكرة تأسيس المولد النبوي فإن أهمية المولد النبوي كانت في الدرجة التالية للموالد التي تتصل بالعقيدة الشيعية الفاطمية كما يؤكد ذلك د. عبد المنعم سلطان في كتابه "الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي: دراسة تاريخية وثائقية" بقوله: "إن الاحتفالات التي كانت تلقى مظاهر الاهتمام كانت للأعياد الشيعية".

وقد أبطل الأفضل ابن أمير الجيوش (ت 515هـ) احتفال المولد ثم أعادها الخليفة الفاطمي الأمر بعد أن كادت تنسى سنة 524هـ.

أما صاحب كتاب "عروسة المولد"² فيجعل إحداث المولد من "كياسة الدولة الفاطمية وتفهمها لنفسية الجماهير فهي تعلم أن الشعب المصري مفتون بالسمر والفرح، فخلقت مثل هذه الطرائف من الحلوى ومثل هذه الأعياد والحفلات ... فحققت هدفين:

1- إشباع المواطنين المصريين إشباعاً دينياً بالموالد والاحتفال بها وتقوية الحركة الصوفية.

2- إبعاد المواطنين عن التفكير في محاسبة الحكام." ص 56.

ويوافقه على هذا الرأي الأستاذ جمال بدوي مؤلف كتاب "الفاطمية دولة التفاريح والتباريح".

ولذلك بعد القضاء على دولة العبيديين على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 567هـ وتأسيسه الدولة الأيوبية قام بإبطال جميع احتفالات الفاطميين الشيعة لإدراكه ما لها من أبعاد سياسية شيعية حيث تبين ذلك في سلسلة الانقلابات الفاطمية الفاشلة عليه.

ومعلوم أن الحكام يتابع بعضهم أمور بعض، ولما تميز الفاطميون الشيعة بجهاز قوي ومنظم للدعاية السياسية كانت من وسائلها استغلال فكرة الاحتفالات الدينية لتثبيت شرعية حكمهم الشيعي، فإن بعض حكام السنة قلد الفاطميين في استحداث احتفال للمولد النبوي، يقول حسن السندوبي في كتابه "تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي": "تم إحياء الاحتفالات بالمولد النبوي على يد حاكم أربيل مظفر الدين كوكبوري، وكان متزوجاً من ربيعة خاتون أخت صلاح الدين الأيوبي ومرتبلاً معه

² - وهذا من شؤم البدع أنها لا تقف عن حد بدايتها وتشغل أصحابها بمتابعة تفاصيل هي من باب إضاعة الأوقات والجهود والأموال.

بحلف سياسي قوي. كوكبوري، ورغم كونه سنياً معارضاً للتشيع، التمس في الاحتفال بالمولد النبوي وسيلة للدعاية السياسية القوية لدولته الصغيرة" وذلك في بداية القرن السابع الهجري كما يقرر الإمام السيوطي.

ثم جاء عصر المماليك في مصر ويبدو أن بعض سلاطينهم لجأ لاستثمار فكرة احتفال المولد النبوي كنوع من التواصل مع المجتمع، ولعل ذلك كان مع بداية عهد المماليك الجراكسة على يد السلطان برقوق حيث أقام المولد سنة 785هـ، واستمر بعد ذلك بشكل متذبذب، وفي بداية عهد العثمانيين ضعف.

بل حتى الاحتلال الفرنسي لمصر على يد نابليون في سنة 1798م حرص على إقامة احتفال المولد وذلك لكسب قبول المصريين للاحتلال! يقول المؤرخ المصري المعروف عبد الرحمن الجبرتي في كتابه "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" أن قائد جيش نابليون استفسر من الشيخ خليل البكري نقيب الأشراف عن سبب عدم إقامة احتفالات المولد النبوي حيث صادف احتلالهم مصر موعده؟ فبرر ذلك بسبب الاحتلال وتوقف الأعمال وقلة الأموال، فلم يقبل منه ذلك وأمر بإقامة الاحتفالات وأعطاه 300 ريال فرنسي من أجل النفقات، وأُرسلت أيضًا إليه الطبول الضخمة والقناديل.. وفي الليل أقيمت الألعاب النارية احتفالاً بالمولد النبوي وشارك نابليون شخصياً وجنوده في الاحتفال! وعاود نابليون الاحتفال به في العام التالي لاستمالة قلوب المصريين إلى الحملة الفرنسية وقوادها!!

وهذا الاستخدام السياسي للموالد لا يزال مستمر لليوم، فكثير من القيادات السياسية العربية والغربية تدعم اليوم كثير من الفعاليات والتجمعات الصوفية وذلك لتمير كثير من المطالب السياسية التي لا تصب في المصلحة الإسلامية، وأصبح من المعتاد مشاركة السفراء الأمريكيين والأوروبيين في احتفالات بعض الطرق الصوفية في عدة دول.

ظهور الموالد الأخرى وجذورها التاريخية:

عرف كثير من الدول -خاصة مصر- ظهور احتفالات وموالد للأولياء لدى الطرق الصوفية في وقت متأخر، ويرى المستشرق ماكفرسون في كتابه الموالد في مصر أن ظاهرة الموالد ظاهرة اجتماعية قديمة في مصر، وتعود جذورها إلى احتفاء قدماء المصريين بآلهتهم، وأن هذه الموالد

في مصر اليوم نشأت في القرن السابع الهجري بشكل شعبي ثم في القرن التاسع دخلت تحت الإشراف الرسمي للسلطة التي رأت فيها وسيلة لإلهاء الشعب عن معاناتهم وحرمانهم!

وكانت البداية بحسب ما كفرنسون بمولد أحمد البدوي في طنطا، والذي توفي سنة 675هـ، وقد شكل احتفال أهل طنطا بمولد البدوي غير منافسة لدى سكان مدينتي دسوق ودمنهور مما حدا بهم إلى إقامة مولد لإبراهيم الدسوقي، ثم تنافست المدن أو المنتفعون من الموالد وانتشرت هذه الظاهرة.

يؤكد ما كفرنسون من أنه لا يوجد تأكيد لصحة تواريخ مولد هؤلاء المحتفى بهم أصلاً، وإلى أن الاحتفال لا يقام بشكل ثابت في كل عام بل هو عرضة للتبدل إما بسبب قلة الأموال أو تعارضه مع مناسبات أخرى! والغريب أنهم يحافظون على إقامة الاحتفال بيوم معين من الأسبوع ولو تغير التاريخ، فمثلاً مولد زينب يقام في يوم الثلاثاء دائماً، مما يدل على أن هذه الموالد لا سند تاريخياً علمياً لها ولا سند شرعياً.

ما هو المولد الذي أجازته بعض العلماء؟

أجاب الحافظ السيوطي في رسالة "حسن المقصد في عمل المولد": "عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع؟ وهل هو محمود أو مذموم؟ وهل يثاب فاعله أو لا؟ والجواب عندي: أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك".

هذا هو المولد الذي أجازته بعض أهل العلم، فما علاقته بما يحدث الآن؟؟؟

ولذلك أفتى الشيخ محمد الغزالي ببدعية المولد النبوي في كتابه "ليس من الإسلام" فقال: "والتقرب إلى الله بإقامة هذه الموالد عبادة لا أصل لها... فنحن نميل إلى تعميم الحكم على هذه الموالد جميعاً ووصفها بأنها مبتدعات ترفض ولا يعتد لها"، والشيخ القرضاوي وضع حكم المولد ببرنامجه في قناة الجزيرة بقوله: "إذا نظرنا إلى الأمر باعتباره عبادة نقول: إنه لم ترد هذه العبادة ولم تصح".

تتطور الموالد عبر التاريخ واحتواء الموالد على ما يصادم الدين تماماً:

سبق ذكر أن المولد ظهر زمن الفاطميين ومنهم انتشر في العالم الإسلامي، وألغى زمن الدولة الأيوبية، ولكن في عصر المماليك أعيد إقامة المولد كما ذكر ذلك "ابن إياس" من أن المولد أقيم

عام 922 هـ، زمن السلطان المملوكي "قنصوه الغوري" واتسم بالبذخ والترف؛ وفي العام التالي 923 هـ لما دخل العثمانيون مصر ألغوا المولد، لكنه ظهر بعد ذلك.

وقد تطور واقع الموالد من كونها مناسبة لتذكر السيرة النبوية والشمال المحمدية لتصبح كرنفالات ومهرجانات تشمل كل أنواع الفساد والموبقات! يصف الجبرتي ما يجرى من فساد في مولد ولي صغير هو عبد الوهاب المرزوقي فيقول: "يختلط به الرجال والنساء، وينصبون فيه خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعب والغوازي والبغايا والقوادين والحواة، فيملؤون الصحراء والبستان، فيطؤون القبور، ويتغوطون ويزنون" (ج1 ص 287).

أما المستشرق إدوارد ولیم لين مؤلف كتاب "المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم" فيصف ما راه في المولد النبوي في عام 1834م أنه في ليلة المولد تجمع الناس للاستماع إلى الشعراء ومشاهدة المشعوذين والهزليين، ومشاهدة الألعاب البهلوانية للعجر كاللعب والرقص على الحبل، والألعاب السحرية!!

ويذكر العلامة شبلي النعماني - مؤسس دار العلوم "ندوة العلماء" في الهند - في كتابه "سفر نامه روم ومصر وشام" والتي طبعت مؤخراً في مصر باسم "رحالة هندي في بلاد الشرق العربي"، كتب عن مشاهداته بمصر للمولد سنة 1382هـ 1892م فقال: "الاحتفال بالمولد هنا تتم في قطعة أرض فضاء... ويجتمع في كل خيمة جماعة خاصة من الفقراء والصوفية ويذكرون الله طبقاً لطريقتهم، وطريقة الذكر تختلف تماماً عن طريقة دراويش الهند، حيث يقف جميع الناس في دائرة ويهتفون بصوت مرتفع معاً بكلمات خاصة بالذكر، ويقتربون من الركوع مع هذه الكلمات، ويأتون بحركات عجيبية براقبهم وخصرهم، ولو نظر إليهم أحد من بعيد يخالهم يمارسون تدريبات رياضية، وطريقة رقص الدراويش أكثر عجباً، والحقيقة أنها تحقر الفقر والصوفية وتسخر منه... وكان هؤلاء الناس يجلسون في صفوف، والشخص الذي يريد الذكر منهم يبدأ بالرقص في وسط المحفل، ويذكر الناس أنهم يؤدون جميع أصول الرقص... لقد أسفت أشد الأسف لأن هؤلاء الناس يعتبرون هذه الطريقة غير اللائقة عبادة، كما يعتقد كثير من الناس أنهم يصلون إلى مرتبة الغوث والقطب والأبدال والأوتاد". ص 213.

وقد قام السفير الهولندي في مصر نيكولاس بيخمان بتأليف كتاب مصور بعنوان "الموالد والتصوف في مصر" سنة 1988م، أورد فيه صور اختلاط النساء بالرجال والرقص بينهم وعدم التزام الحجاب وصور من عروض السحر وخفة اليد.

أما اليوم فقد أصبح المولد شيئاً عجيباً كما نقلته قناة اقرأ في تحقيقها عن المولد فهو: سرادقات كبيرة حول المساجد الكبرى والميادين في جميع مدن مصر خاصة في القاهرة؛ كمسجد الإمام الحسين والسيدة زينب (رضي الله عنها) ويكون زوار المولد من مختلف قرى مصر وينتشر فيه الباعة الجائلين بجميع فئاتهم وألعاب التصويب والطارة وبائعي الحلوة والأطعمة وسيركا بدائياً يضم بعض الألعاب البهلوانية وركنا للمنشدين والمداحين، وهم فئة من المنشدين تخصصت في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وهذه الموالد تقام فيها حلقات الحضرة الصوفية و يكثر في هذه الحضرات اختلاط الرجال بالنساء مع عدم التزام كثير منهن بالحجاب الشرعي، وأغلب زوار المولد لا يصلون ويدخنون الشيعة فيه!! وبعد ذلك كله من الممارسات التي تصادم الدين وسنة النبي صلى الله عليه وسلم نجد من يدافع عن هذه المنكرات ويزعم أن حقيقة الدين الرضى بمنكرات الموالد!

ومن أصرح نماذج ذلك ما زعمه الشعراني أن رجلاً اعترض على ما يجري في مولد أحمد البدوي فسلب منه الإيمان "فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بسيدي أحمد فقال: بشرط أن لا تعود، قال نعم، فرد عليه ثوب إيمانه ثم قال له: ... وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته"، ويقول الشعراني أيضاً: "فإياك أن تعترض على موالد الأولياء التي يجتمع فيها الخلائق ويقع فيها ما لا ينبغي من اللعب واللهو والمزمار"، وفي هذا الكذب الصريح إقرار ورضا بكل المنكرات الواقعة في الموالد ومنع للمصلحين من الاعتراض عليها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك تتفاقم الأمور كل سنة في احتواء هذه الموالد على الكثير من أنواع الفسق والفجور، وقد سجل ذلك المؤرخون من المسلمين والمستشرقين.

وبعد هذا كله يحق لنا السؤال هل يصح الاستشهاد بكلام العلماء السابقين في إباحة المولد على هذه الموالد؟؟

محبة النبي صلى الله عليه وسلم ليست كرنفال

نوايا طيبة وصادقة هي ما تدفع العديد من الشباب والشابات لتغيير صور حساباتهم على وسائل التواصل الإعلامي، وتبادل الصور والمقاطع المتعلقة بمناسبة المولد النبوي الشريف، ومشاركتهم في تجمعات أو احتفالات بهذه المناسبة تختلف مكوناتها من درس ديني جيد، إلى قراءة مقطع من السيرة النبوية تتباين فيه درجة الموثوقية والصدقية من السلامة إلى الخرافة والدجل والأباطيل بحسب كتاب "المولد" الذي وقع عليه الاختيار، إلى حضور حلقات غناء ورقص ينسبونها للدين، وتكون في بعض الحالات حفلات مختلطة وتصل لحد العري باسم الجذبة وحضور الأولياء!!

وإذا كان رواد هذه الموالد سابقاً من كبار السن والعوام وغير المتعلمين، فإننا نشهد اليوم إقبال الشباب والشابات والمتعلمين على إقامة هذه الموالد، لكنهم أضافوا لها خصوصيتهم الشبابية والعصرية، حيث قاموا "بنمذجة" المولد على "ستايل" الحفلات التي يمارسونها في أعياد الميلاد الشخصية والحفلات العامة التي يشاركون بها، وخاصة القادمة من الخارج وأصبح هناك تقليد لحفلات "الكريسمس" واقتباس منها!

هذه النمذجة للمولد على الطريقة الغربية هي من ضغط الانبهار بالخارج والانصهار في طريقته للحياة والتي سجنهم فيها إدمان متابعة الإعلام الذي هو في غالبه إعلام غربي وإن كان يتحدث بالعربية أو الأصح بالعربي والعامة السيئة، أما المضمون فهو غربي تماماً، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم "لنتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة" متفق عليه، وهذا التقليد والنمذجة في ممارسة المولد على الطريقة الغربية هو عكس النية الطيبة في محبة النبي صلى الله عليه وسلم! من جهة أخرى فإن كثيراً من الشباب والشابات -بتأثير الضغط الاجتماعي ومجاراته- يقوم بتغيير صورة حساباته على الفيس بوك مثلاً لعبارة تتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون خارج السياق ويصبح منبوذاً.

حيلة نفسية

يفسر الصديق الدكتور يوسف مسلم الإخصائي النفسي هذه الحالة للعديد من الشباب والشابات بأنها نوع من "الإعلاء والتسامي"، فشعور الكثيرين بنوع من الضعف والقصور يجعلهم يتعلقون بشيء عالٍ وسامٍ، لكنه تعلق شكلي زائف لا يدفعون كلفته الصحيحة، ولكنهم يخدعون به أنفسهم ويبررون به عجزهم وتقصيرهم، ومن أمثلة ذلك الأبناء الذين هم في حالة خصام ونكد دائم مع

أمهاتهم طيلة السنة، لكنهم يحضرون لها هدية في يوم الأم كنوع من التبشير والخداع للذات أنهم محترمون لأمهاتهم بارون بهن!

هؤلاء الشباب يعرفون أنهم يسيرون في طريق لا يرضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم مقصرون في واجباتهم الدينية، وهم يتجاوزون الحدود التي وضعها الله ورسوله، لكنهم معترفون بفضل الله عز وجل عليهم ومؤمنون به ويودون أن يكونوا صادقين في إيمانهم، كما أنهم يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحترمونه، لكنهم مستسلمون لرغباتهم المتعارضة مع سنته صلى الله عليه وسلم، تحت وطأة فتنة الدنيا التي يزينها الإعلام لهم، وبهجة اللذات التي ينالونها بتوجيه من قيم الحداثة وما بعدها، رغم أنهم يعرفون ويدركون خطورة هذه المذات، ولكن كما قال تعالى: "كلا بل تحبون العاجلة * وتذرون الآخرة" (القيامة: 20-21). ولذلك ظن هؤلاء الشباب والشابات أنهم ببعض "البوستات" ورسائل "الواتساب" وحفلة المولد يكونون قد أدوا ما عليهم تجاه محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه!

وهذا كما يقول د. يوسف مسلم نوع من الإقناع الذاتي الخاطئ والتفكير السطحي تجاه التدين، فقد زرع في لاوعي الكثير منهم أن الإيمان بالله عز وجل وحب النبي صلى الله عليه وسلم عبارة عن محبة قلبية وعرفان وامتنان، وذلك عبر ما يبثه الإعلام صراحة وضمناً، وهذا المفهوم مخالف تماماً لحقيقة الإيمان بالله عز وجل ولحقيقة الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي يقوم على معرفة حق الله عز وجل وحق النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان الذي يصاحبه العمل الصالح وترك العمل الطالح، ويقوم على المحبة الصحيحة التي يلازمها اتباع وانقياد بالقلب واللسان والجوارح، هذه هي حقيقة الإيمان والمحبة.

نريد من هؤلاء الشباب والشابات المحبين لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا محبتهم لله ورسوله بشكل صحيح وسليم، حتى يحققوا السعادة والاستقرار في الدنيا، والنجاة في الآخرة، من خلال زيادة الصلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية قراءة وفهماً ودراسة، والعمل بأوامرهما في الفعل والترك، وتنقية العقول والقلوب من المفاهيم العلمانية والحداثية المتعارضة معهما مما ينشره ويرسخه الإعلام من الفردية الطاغية والتحرر من كل القيود ونسبية الأخلاق وعدمية الحق والباطل والصواب والخطأ وانعدام المرجعية.

مثل هؤلاء الشباب والشابات في خداع أنفسهم بإسقاط كلفة حب النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذه السلوكيات، كمثل الوفود الغربية ممن يزورون مخيم الزعتري مرة في العام وينصبون مسرحاً

للعرائس والدمى وتلوين وجوه الصغار ساعة من الزمن، ثم يمضون في حال سبيلهم، وقد أقنعوا أنفسهم أنهم أدوا واجبهم وأسقطوا مسؤوليتهم تجاه هؤلاء المهجرين بسبب تقاعس النظام العالمي عن القيام بواجبه تجاه الشعب الأعزل الذي يتعرض لإبادة جماعية من قبل جيشه الخائن وحلفائه المتوحشين!

حب النبي صلى الله عليه وسلم ليس كرنفالا أو تجمع عند "درج الشماسي" ساعة أو ساعتين في العام، حب النبي صلى الله عليه وسلم منهج حياة، وثبات حتى الممات.

مولد بلا حمص

من الأمثال الشائعة المثل الذي يقول: طلعنا من المولد بلا حمص! ويقصد به من يدخل في موضوع كبير وضخم ويخرج بلا فائدة، إذ جرت عادة أصحاب الموالد توزيع الحلوى والحمص (القضامة) على رواد الموالد، فمن يدخل المولد ولم يخرج حتى بجمص فهذا رجل خسران!

ولعل هذا الوصف (خرج من المولد بلا حمص) ينطبق بشكل كبير على كثير ممن يقيمون الموالد، سواء المولد النبوي أو موالد غيره من الصالحين والمواليد الجدد وما شابه ذلك، إذ المولد الجيد يدور على قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة، وتذكر شمائله صلى الله عليه وسلم الثابتة.

وبالمقابل نرى بعض المحبين للخير والنبي صلى الله عليه وسلم من شبابنا وفتياتنا يهتمون بالمشاركة في إقامة مولد نبوي، بإنشاد الأناشيد وتوزيع الحلوى، وفي هذه السنة سمعنا عن فتيات يوزعن الحلوى على المارة باسم المولد النبوي!

وهؤلاء الشباب والفتيات رغم حبهم للخير وللنبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنهم لا يتمثلون سيرته وسنته في أنفسهم، بل وقد تجد منهم تقصيرا في واجبات وأركان جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، فهل هذا يتفق مع النهج النبوي؟

لماذا نجد اليوم كثيرا من الشباب يقوم بتصرفات وسلوكيات بدافع التماهي مع الموضة و(الستايل) الحديث، ويمكن أن يصادم بها الرأي العام والسلوك المستقر، بينما هو يستهجن أن يتصرف علناً ببعض سنن النبي صلى الله عليه وسلم والتي يقيم له مولداً!

قبل سنوات كان الكثير من الناس يتندر على الشباب المعتمر إذا حلق رأسه بالموس، ويعتبر ذلك تزمنا وتشددا وعيبا، ولكن اليوم أصبح حتى من وزراء الديجتال من لا يخجل من أن يكون أصلع بالحلقة، لأن هذا أصبح اليوم تقليدا لنجوم هوليوود وفناني عصر الحداثة!

قبل سنوات كان الناس يستهزئون بالشباب المحافظ على سنة النبي صلى الله عليه وسلم بتقصير ثوبه، وكم شاهدنا من رسوم ساخرة وتعليقات جارحة لهؤلاء الشباب، لكن اليوم أصبحت ترى رجلاً كبيراً لا يبالي بوقوفه في بنك أو مطعم أو مول وهو يرتدي الشورت!

هذه أمثلة على أن كثيرا من الشباب والفتيات الذين يحبون الخير والنبي صلى الله عليه وسلم، يظنون أن حق النبي صلى الله عليه وسلم عليهم هو أن يقيموا (بارتي) في يوم مولده، وأن يرسل (مسجا) أو تغريدة حول ذلك، أو يضع مقطعا من المدائح على هاتفه، وكفى الله المؤمنين القتال!

هذا في الحقيقة خروج من المولد بلا حمص، الإحياء الحقيقي لمولد النبي صلى الله عليه وسلم، هو بتمثل سيرته وسنته في حياتنا، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم هو معيارنا وقدوتنا في طعامنا وشرابنا وليس برامج الطبخ على الفضائيات، ويكون قدوتنا في لباسنا وليس صرعات الموضات وتقليد التافهين من المشاهير، وقد حدثتني ابنتي أن في مدرستها طالبة حلقت نصف رأسها بالموس وتركت النصف الآخر تقليداً لبعض الفنانات!

وقبل كل شيء أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو قدوتهم في العقائد والمفاهيم والأفكار، وليس ما تبثه الأفلام والروايات والقنوات، لقد تشوهت كثير من المفاهيم عند الشباب فبات يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بتعليم الطهارة والصلاة والصوم والحج وما شابه، وليس له دور فيما سوى ذلك من شؤون الحياة.

وهذا هو سبب إقبال هؤلاء الشباب على الصلاة والصيام والمناسبات الإسلامية، مع انفصالهم عن بقية الأحكام الشرعية في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فمثلاً علاقات هؤلاء الشباب والفتيات على مقاعد الدراسة وفي مواقع العمل وطريقة احتفالاتهم ولقاءاتهم لا تحفل بمراعاة السنة النبوية، أليس هذا مولدا بلا حمص!

وفي جوانب المال والاقتصاد لا تراعى الأحكام الشرعية من الحلال والحرام في مواصفات الوظيفة أو كون الراتب حلالاً لا شبهة فيه، أو خوض تجارة محرمة، أو الغرق في القروض الربوية من

شراء الحذاء حتى شراء الشقة، أو يكون ترسا في منظومة الفساد بلا مبالاة، أليس هذا مولدا بلا حمص!

وفي جوانب السياسة نرى بعضهم يؤمن بمبادئ الانتهازية والعنصرية، أو يفرط في الحقوق الشرعية للأمة، أو ينخرط في التضيق على دين الله عز وجل ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم، أليس هذا مولدا بلا حمص!

إن حب النبي صلى الله عليه وسلم ركن من أركان الإيمان، وهذا الحب ليس توزيع حلوى وبعض المدائح، هذا الحب هو اتباع واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، في كل جوانب رسالته ودعوته، ولا يتحقق هذا الحب إلا بأمرين، هما:

- 1- تعلم سيرته وسنته ورسالته صلى الله عليه وسلم، بشكل صحيح ومن مصدر موثوق، وهذا أمر سهل اليوم، فقد قام العلماء بجهود عظيمة لتسهيل تعلم الإسلام بمختلف اللغات وبمختلف الوسائل. والوصول للمعلومة الصحيحة معياره طلب الدليل الشرعي من القرآن والسنة الصحيحة، فمن استخدم هذا الميزان نجا من غالب المعلومات الخاطئة والبدع والضلالات، لأنها تفتقد للدليل والسند الشرعي.
- 2- العمل بمقتضى العلم الصحيح، وإلا فما قيمة هذا الحب للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم تتعلم سيرته وسنته ورسالته ولا تعمل بها؟

فالله عز وجل جعل الثواب بالجنة والعقاب بالنار مرتبطا بالعمل الصالح، والآيات في ذلك كثيرة جداً، قال تعالى: "وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون" (الزخرف: 72)، ومنها قوله تعالى: "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً" (الكهف: 110)، فالعمل بالسنة النبوية هو الثمرة الحقيقية لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

فلو قارنا بين حبه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي يعلنه من خلال نشر "بوست" على الفيس "أحبك يا رسول الله" وبين "بوست" آخر لممثله أو لاعبه المحبوب مثلاً، سنجد أنه عارف بتفاصيل سيرة محبوبه يعرفون دقائق حياته من حيث لونه المفضل وطعامه وشرابه المحبب، ومتابع لآخر نشاطاته، ويقلده في الشكل والحركات، ويحفظ عن ظهر قلب العديد من جملة وعباراته، ويبرمج أعماله على ضوء تحركات نجمه المحبوب، صورته تجدها على صدره وجداره، هذا هو الحب وحقيقته. بالمقابل لن نجد شيئاً يذكر من هذا الجهد والاهتمام على صعيد "بوست" "أحبك يا رسول الله" !!

أما أن يجتمع البعض في (بارتي) يغنون ويأكلون ويشربون، ويزعمون أن هذا هو حب النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا مولد بلا حمص!

وماذا بعد المولد النبوي؟

والآن، وبعد أن مرت المناسبة وتبادل الملايين التهنئات، وأقامت الدول الاحتفالات الرسمية وعقدت الفاعليات الشعبية طقوسها وتناول الناس الحلوى، وماذا بعد؟

ما هي نواياكم وخططكم تجاه المقام النبوي؟ ما هي إجراءاتكم تجاه السنة النبوية التي تتعرض لهجمة شرسة جداً. وقد أحسن شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب حين خصص كلمته في حفل المولد النبوي لإبطال الطعن بمكانة السنة النبوية التشريعية.

ما هي برامجكم العملية المستقبلية ليكون النبي صلى الله عليه وسلم هو قدوتكم فعلاً؟ وحببيكم حقاً؟

هل ستكون السنة النبوية "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (متفق عليه) هي النهج السائد بحيث نكون فعلاً دولة القانون الذي لا استثناءات فيه؟

هل ستكون السيرة النبوية الرفيعة هي النبراس الذي يقتدي به المواطنون والموظفون جميعاً وعلى كافة مستوياتهم فيقوم الجميع بواجباتهم على أكمل وجه لقوله عليه الصلاة والسلام "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" (صححه الألباني).

هل ستبادر فتياتنا ونساؤنا ممن يحببن النبي صلى الله عليه وسلم وتبادل التهنئات والصور والمقاطع بمولده للتمسك بهديه وسنته وشريعته في لباسهن، فيكون حجاب نساءه أمهات المؤمنين هي الموضة التي يتفاخرن بتقليدها والمبالغة فيها؟

هل سنجد من شباب الإسلام الذين يرفعون شعار "رسول الله قدوتي" لمزيد من الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، فيقبلون على تعلم سنته وقراءة أحاديثه وتطبيق ذلك في حياتهم، فتكون عقيدته عقيدتهم ومنهجه منهجهم وخلقه خلقهم وسلوكه سلوكهم.

الاقتداء والمتابعة للمقام النبوي بشموليته من الجميع رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، هو الحقيقة والعقدة التي يجب على الجميع التمسك بها مهما اختلفنا على الاحتفال بالمولد النبوي.

فهل نتمسك بالحقيقة والغاية الكبرى أم سنضحك على أنفسنا؟ فيكون حبنا للنبي صلى الله عليه وسلم هو حلويات نتناولها وتهنئات نتبادلها فقط!! على طريقة حبنا للوطن يوم الاستقلال فنرفع الأعلام والرايات والكوفيات فقط ولا نطور من إنتاجيتنا ولا نتخلى عن سلبياتنا ولا نبادر لسد الخلل وتقديم الحلول، ولذلك تبقى الأحوال المائلة على ميلها!!